حسن الأسوة

في ذكر من كمل من النسوة

جمع وإعداد

أم سارة بنت عرفه بيومي

مكتبة السنة

الطبعة الأولى بمكتبة السنة بالقاهرة
١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع : ٩٥١٣ / ٢٠٠٢
طبع بدار نوبار للطباعة



القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين «ناصية شارع الجمهورية»
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس : ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١



المُقدمة

بسم اللَّهِ الذي جَعَلَ الإسلامَ هُوَ الدِّين القَيِّم ، والحمدُ للَّهِ الذي أظهره وعَمَّمَ رسالته ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِ الخلقِ سيدنا مُحمد ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر : ١٨] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

أمـا بعــد : فإنَّ الكمالَ درجةٌ عاليةٌ يَطمحُ الجميعُ للوصولِ

إليها ، وليسَ الكمالُ شيئًا بسيطًا ، بل هو منزلةٌ رفيعةٌ تُعطَى لمن يجتهدُ في العملِ الصالحِ وفي تقوى اللَّهِ ؛ حتى يستطيع أن يقتربَ من هذه المنزلة العالية .

ولقد ضربَ لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلًا لنساءٍ وصلنَ لهذه الدرجة ، فكنَّ ممَّن كَمُل من النساء ، وكنَّ خيرَ نساءِ أَزْمنتِهِنّ ، فعن أبي مُوسى رضي اللَّهُ عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **كَمُلَ من الرجالِ كثيرٌ ، ولم يَكْمُلْ من النساءِ إلا آسيةُ امرأةُ فرعونَ ومريمُ بنت عمرانَ ، وإنّ فَضْلَ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سَائرِ الطَّعَام** »[1] .

قال الحافظُ في « الفتح » تعليقًا على هذا الحديث : وقد وَرَدَ في هذا الحديث من الزِّيادةِ بعد قوله ومريم ابنة عمرانَ « **وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت مُحمد** »[2] .

وهكذا صَارَ من كَمُل من النساء وذُكِرْنَ بالفضلِ خمسًا هُنَّ : آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران، وخديجةَ بنت خويلد ،

---

(١) البخاري (٣٤١١) ك الأنبياء ، ومسلم (٢٤٣١/٧٠) ، ك فضائل الصحابة .
(٢) الفتح (٦/٤٤٧) .

وفاطمة بنت محمد ﷺ ، وعائشة بنت أبي بكر الصديق ، رضي اللَّه عنهن أجمعين . وعن أنس عن النبي ﷺ قال : « **حَسْبُكَ من نساءِ العالميـنَ خديجة ، وفاطمة ، ومريم ، وآسية** »[(1)] .

وعن ابن عباسٍ مرفوعًا : « **أفضلُ نساءِ أهلِ الجنة : خديجة ، وفاطمة ، ومريم ، وآسية** »[(2)] .

وقفتُ طويلًا أمامَ هذا الفضلِ الذي بَلَغْنَهُ هؤلاءِ النسوةِ واستـوقفتني شَخْصِيَّـاتِهُـنّ فرغبتُ في تَقْدِيمِهـنّ إلى أخـواتي المُسلمات ؛ ليكنَّ خيرَ قُدوةٍ وأسوةٍ حَسَنَةٍ لكلِ فَتَاةٍ مُسلمةٍ .

وأنا في هذه الرسالةِ المُتَوَاضِعَة لا أرغبُ في سردِ تراجمِ هؤلاءِ الفاضلات من النساء ؛ ولكني أرغبُ في الوقوفِ على بعض مواطنِ الأسوةِ الحسنة في هؤلاءِ المؤمنات اللاتي ضربنَ أروعَ الأمثلةِ في الثباتِ على الحق وفي الإيمانِ والتصديقِ ، وفي العلم ، فكنّ خيرَ نساءِ عصرهن ، وكُنّ ممن ذُكرن بالفضلِ على لسانِ خير

(1) الترمذي (٣٨٧٨) . وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٤١٦٣) .
(2) أخرجه عبد بن حميد (٥٩٧) ، وأحمد (٢٩٣/١) ، وصححه ابن حبان (٧٠١٠) ، والحاكم (١٨٥/٣) .

البشر ﷺ ، فوصفهن بالكمال .

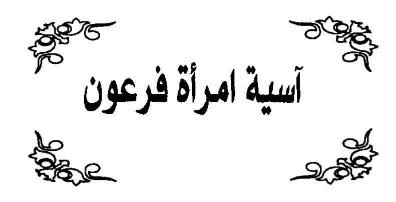
فتعالي معي أُختي المسلمة عَبْرَ هذه الصفحاتِ ، لنعيشَ سويًّا مع مَنْ كَمُل من النساءِ ؛ عَلَّنَا نجدُ فيهنّ القدوةَ الحسنةَ التي تُساعِدُنا في سَيْرِنَا وفي طريقنا إلى اللَّه عز وجل .

فإن القدوةَ الحسنةَ واقتفاءَ آثارِ الصالحات ؛ خيرُ زادٍ للأُختِ المسلمةُ الملتزمةَ في طريقها إلى اللَّه عز وجل .

وأسألُ اللَّه عزَّ وجلَّ أن يَجعلَ هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأنْ يَتَقَبَّلَهُ وينفعَ به كلَّ مسلمةٍ ... آمين .

أختكم

أم سارة وإسراء وأسماء



آسية امرأة فرعون

هي أولُ من ذكرهنَّ النبي ﷺ فيمن كَمُل من النساء ، وهي التي أخبرنا اللَّهُ عنها في القرآن الكريم أنَّها كانت سببًا في نجاةِ سيدنا موسى عليه السلام من القتل ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [القصص : ٩] . قال ابن كثير : « إن فرعونَ لما رآه – أي سيدنا موسى وهو وليد – هَمَّ بقتلِه خوفًا من أن يكونَ من بني إسرائيل ، فجعلت امرأته آسية بنت مُزاحم تُحَاجّ عنه ، وتَذُبُّ دونه – أي تدافع عنه – وتحببه إلى فرعون ، فقالت : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ ، فقال : أَمَّا لَكِ فنعم ، وأمَّا لي فلا . فكان كذلك ، وهداها اللَّهُ به وأهلكهُ اللَّهُ على يديه »[1].

قال الحافظ في « الفتح » : « كانت فراستُها في موسى – عليه

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٦٨) .

السلام – صادقةٌ حين قالت : قرةُ عين لي »[1] . اهـ .

وحينَ أَرْسَلَ اللَّهُ سيدنا مُوسى عليه السلام ودعى فرعون وقومه إلى الإيمان ، سارعت السيدةُ آسية وأجابت دعوته إلى الإيمان ونبضَ قلبُها بالإيمان ، فلم تُفكر في متاع الدنيا الزائل ، ولم تخف من بطش فرعون ؛ ولذلك ضَرَبَ اللَّهُ بها المثلَ في الإيمان والثبات عليه ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم : ١١] .

قال الحافظ : « ومن فضائل آسية امرأة فرعون أنها اختارت القتلَ على المُلْك والعذابَ في الدنيا على النعيمِ الذي كانت فيه »[2] .

أيّ فضلٍ أعظمُ من هذا الفضل لتلك المرأة المؤمنة التي صمدت أمام من قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ ، وأيّ ثباتٍ هذا الذي جعلها تتحملُ العذابَ في سبيل اللَّه حتى تنال جنته ؟!

قال ابن كثير : روى ابن جرير بسنده عن سليمان التيمي :

---

(١) فتح الباري (٦/٥١٦) .
(٢) فتح الباري (٦/٥١٦) .

« كانت امرأة فرعون تسأل : من غَلب ؟ فيُقال : غلبَ موسى وهارون. فتقول : آمنت برب موسى وهارون ، فأرسل إليها فرعون ، فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها فإن مضت على قولها فألقوها عليها وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي ، فلما أَتَوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتُزعت رُوحها »[1]. اهـ .

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : « **إن فرعونَ أوتدَ لامرأتِه أربعةَ أوتادٍ في يَدَيْهَا ورجليها ، فكانَ إذا تفرقوا عنها ظلّلتها الملائكةُ فقالت : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾** [التحريم : ١١] ، **فكُشِف لها عن بيتها في الجنة** »[2].

وفي هذا الحديث يَظهرُ لطفُ اللّهِ بعبادِه المؤمنين الذين يبذلون في اللّه عزَّ وجلَّ ، فقد أراها بيتها في الجنة ؛ حتى يزدادَ إيمانُها وثباتها على الحق .

---

(١) تفسير الطبري (١٧١/٢٨) ، وابن كثير (٣٩٣/٤، ٣٩٤) .
(٢) رواه أبو يعلى (٦٤٣١) ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٥٠٨) .

قال الدكتور عمر الأشقر في كتابه « صحيح القصص النبوي » : « وَقَفَتْ بعضُ النساءِ مَوَاقِفَ إيمانية مُتميزة عَبْرَ التاريخِ وبعضُ هذه المواقفِ يعجزُ عنها الرجالُ ، ومن هؤلاء آسية ملكة مصر امرأة فرعون ، فقد جَادَتْ بنفسها للَّه عزَّ وجلَّ وآثرت ما عنده ، وتخلَّت عن الدنيا وصَبَرَت على عذابِ زوجها لها ؛ حتى فاضت روحها إلى بارئها » . اهـ .

حقًّا لقد وقفت السيدةُ آسية موقفًا إيمانيًّا يعجزُ عنه الكثير من الرجال ، فقد آمنت إيمانًا قويًا ثابتًا جعلها لا تلتفت إلى طُوفان الكفر الذي تعيشُ فيه ، في قصر فرعون ، وقد تبرأت من هذا القصرِ ، طالبةً من ربها بيتًا في الجنة ، فاختارت الجار قبل الدار ، فقالت : « عندك » ثم « بيتًا ». وتبرأت من صلتها بفرعون ، فسألت – ربها عزَّ وجلَّ – أن يُنجيها منه ، وتبرأت من عمله مخافةَ أن يلحقها منه شيءٌ وهي ألصقُ الناس به ، وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيشُ بينهم ، فقالت : ﴿ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

يقول الشيخ سيد حُسين في كتابه « الجزاء من جنس العمل » : « فدعاء امرأة فرعون هذا وموقفها مثلًا للاستعلاء على عرض الحياة

الدنيا في أزهى صورة ، فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوكِ الأرضِ يومئذٍ ، في قصر فرعون ، أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهي ، ولكنها استعلت على هذا بالإيمان الثابت ، ولم تعرض عن هذا العَرَض الفاني فحسب ، بل اعتبرته شرًّا ودنسًا وبلاءً استعاذت بالله منه وطلبت النجاةَ منه ، وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية ، وهذا فضل عظيم لها ، فالمرأة أشد شعورًا وحساسية بوطأة المجتمع وتصوراته ، ولكن هذه المرأة وحدها في وسط ضغط المجتمع المادي وضغط القصر وضغط المُلْك – في وسط هذا كله – رفعت رأسها بالدعاء إلى رب السماء تسأله أن يَبني لها بيتًا عنده في مستقرِ رحمتِه وكان لها ما طلبت وكان جزاءُها من جنسِ عَمَلِهَا ، فلما استعلت بإيمانها على بريق قصر فرعون أبدلها اللَّهُ به قصرًا في الجنة ، واستعلت على جوار فرعون فأبدلها اللَّه به جواره وعنديته »[1] . اهـ .

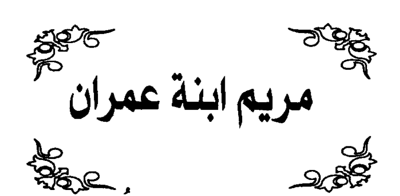
وعندما نسأل أنفسنا : ما هي مواطن القدوة الحسنة في السيدة آسية ؟ نجدُ أنفسنا أمامَ امرأةٍ ، ولكنها أفضلُ من كثير من الرجال ، نتعلم منها كيف أن حلاوةَ الإيمانِ ولذته وثباته في القلب أقوى من

(١) الجزاء من جنس العمل (٢/٦٥) .

كل قُوى الطُغيان وأفضلُ من أي متاع من متاع الدنيا الفاني ، فلقد ثبتت على إيمانها ثبوتَ الجبال الراسخة رغم أنها امرأة ضعيفة ، فالإيمان هو القوة التي دفعتها للتعالي على متاع الدنيا والثبات على الحق ، فسارعت واختارت جنة عرضها السماوات والأرض ، وتركت المُلْك الدنيوي الزائف ، تركت جنان فرعونَ واختارت جنة الرحمن .

فعليكِ أختي المسلمة أن تسابقي غيرك وتسارعي إلى الجنة ؛ لتكوني مع السيدة آسية في جنة الخلد ، و﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

* * *



مريم ابنة عمران

مريم بنت عمران ، العذراء البتول ، أُم عيسى عليه السلام ، قال تعالى في قصة ولادتها عليها السلام : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٥- ٣٧] .

قال القرطبي : « إن أمّ مريمَ لما حملتْ قالت : لئن نجاني اللَّهُ ووضعتُ ما في بطني لأجعَلنَّهُ مُحررًا لعبادةِ اللَّهِ – أي عتيقًا – خالصًا للَّه تعالى خَادِمًا للكنيسة مُفرغًا لعبادةِ اللَّهِ »[1] .

(١) تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (٢/١٤١٦، ١٤١٧) .

« وقولها : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى ﴾ يعني : أن الأنثى لا تصلحُ لخدمة الكنيسة ، قيل : لما يُصيبُها مِنَ الحيض والأذى ، وقيل : لأنَّها لا تَصْلُحُ لمخالطة الرجال »[1]. اهـ .

ونقل ابن جرير الطبري قول عكرمة : « خرجت أُم مريم بمريم في خرقها تحملها إلى من يلون بيت المقدس ، فقالت : دونكم هذه النذيرة فإني حررتُها وهي ابنتي ، ولا يدخل الكنيسة حائض ، وأنا لا أردها إلى بيتي ، فقالوا : هذه ابنة إمامنا ، وكان عمران يؤمهم . فقال زكريا : ادفعوها إليَّ فإن خالتها عندي . قالوا : لا تطيب أنفسنا وهي ابنة إمامنا ، فذلك حين اقترعوا ، فاقترعوا بأقلامهم عليها (الأقلام التي يكتبون بها التوراة) فقرعهُم زكريا وكفلها »[2]. اهـ .

هكذا كان الاصطفاء الأول للسيدة مريم ، حيث كفّلها اللّه نبيًا كريمًا وجَعْلَها محررة لعبادة اللّه وطاعته وحده .

يقول الحرالي : « ولم يكن سيدنا زكريا هو الكافل الحقيقي ، وظهر ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ ، فهذه العبارة من

(١) المصدر السابق .
(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٣/٢٤٤) .

أولها دلت على حسن كفالة سيدنا زكريا لمريم ، وأنه كان يتفقدها عند تقدير حاجتها إلى الطعام ، بما يفيده كلمة « كلما » من التكرار ، فيجد الكفيل الحق قد عاجلها برزق من عنب بما أنه سبحانه وتعالى المتولي لإنباتها ليكون نباتها من رزقه فتصلح لنفخ روحه ومستودع كلمته ولا يلحقها بعده أذًى من الشيطان الرجيم ، الذي أعاذها اللَّه - سبحانه وتعالى - منه بكثرة الاختلاط في موجودات الأرزاق ، فكان من حظها أن يتولى اللَّه عزَّ وجلَّ رزقها ليكون حسن نباتها من حسن رزق اللَّه »[1] .

قال ابن الجوزي في « المدهش » : « قال القدر : يا مَلَك ، صوّر الحمل أنثى ليبين أثر الكرم في قبول الناقص ، فلما وضعتها بأنامل الانكسار عن سرير السرور قالت بلسان التلهف : ﴿ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى ﴾ ، فجبر كسرها جابر ﴿ فَتَقَبَّلَهَا ﴾ وساق عنان اللطف إلى ساق ذرعها فرَبت في رُبَى[2] ، ﴿ وَأَنبَتَهَا ﴾ وكفّلها زكريا ، فأراه المسبب غناها عن السبب بآية ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ فَرَباها ربُّها

(١) الجزاء من جنس العمل (٢/٧١) .
(٢) أي : تربت ونشأت في ظل إنبات اللَّه لها .

فنشأت لا ترى إلا ربَّها ». اهـ[1] .

كل هذا الاصطفاء للسيدة مريم ؛ لما لها من فضل ، فقد رزَقَها اللَّه أن كانت هي له سبحانه منذُ أول يوم لها ، ولم يجعل للشيطان عليها سبيلًا ؛ استجابة لدعوة أمها الصالحة .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مولود يُولد ، إلا نخسه الشيطان ، فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان ، إلا ابن مريم وأمه** »[2] .

فأيُّ ميلادٍ أفضلُ من ميلاد السيدة مريم ؟ وأيّ تربية أفضل من تربيتها ؟ فقد رَبَّاها اللَّه عزَّ وجلَّ لتكونَ امرأةً ، ولكنها ليست كأي امرأة ، بل هي خير امرأة في زمانها .

قال رسول الله ﷺ : « **خير نسائها مريم ابنة عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد** »[3] .

قال الشيخ سيد قطب : « يكفي أن نعرف أنها كانت مباركة ،

(١) المدهش لابن الجوزي (١٠٩) .
(٢) رواه مسلم (١٤٦/٢٣٦٦) ك فضائل الصحابة .
(٣) البخاري (٣٤٣٢) ك الأنبياء ، ومسلم (٢٤٣٠) ك فضائل الصحابة .

يفيض من حولها الخير ويفيض الرزق من كل ما يُسمى رزقًا ، حتى ليعجب كافلها وهو نبي من فيض الرزق ، فيسألها : كيف ؟ ومن أين هذا كله ؟ فلا تزيد على أن تقول في خشوع المؤمن وتواضعه ، واعترافه بنعمة اللَّه وفضله وتفويض الأمر إليه كله : ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، وهي كلمة تصور حال المؤمن مع ربه والتواضع »[1] .

يا لها من مؤمنة مباركة متوكلة على خالقها ، متواضعة له سبحانه ، ويكفيها فضلًا لتكون لنا خير قدوة أن ذكرها اللَّه في القرآن كثيرًا ، وأنزل سورة باسمها ، وهي امرأة من النساء ، لكنها عابدة زاهدة تقية مباركة ، وستظل سورة « مريم » تُتلى إلى قيام الساعة ، تلك السورة التي توضح اصطفاء الله للسيدة مريم بعدما نبتت في ظل رعاية الله ، قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ

(١) في ظلال القرآن (١/٣٣٩) .

أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ١٦- ٢١].

قال الشيخ ابن سعدي: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ هذا من أعظم فضلها عليها السلام أن تُذكر في الكتاب العظيم الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تُذكر فيه بأحسن ذكر، وأفضل ثناء، جزاء لعملها الفاضل وسعيها الكامل، ثم قال: ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ أي: سترًا ومانعًا، وهذا التباعد منها واتخاذ الحجاب لتنفرد بعبادة ربها وتقنت له في حالة الإخلاص والخضوع والذل لله، وذلك امتثالاً منها لقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣](١).

تأملي أختي المسلمة كيف تفر المؤمنة بنفسها عن فتن الدنيا لتختلي بربها تناجيه، فلتكوني ممن يُناجي اللَّه في ظلمة الليل بعيدًا

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي.

عن الجميع وعن فتن الدنيا ، فلقد كانت السيدة مريم تقوم الليل وتصلي حتى تفطرت قدماها . فعن أبي سعيد قال : « **كانت مريم تصلي حتى تَرِم**[1] **قدماها** »[2] .

وهي في حالة العبادة الشديدة للَّه عز وجل ، وقد بعدت عن الخلق ليتفرغ قلبها لخالقها يأتيها الروح جبريل لتوضع السيدة مريم في اختبار حقيقي ، حيث جاء المَلَك لينفخ فيها من روح اللَّه لتحمل دون زوج – كما كانت تُرزق بغير سبب – ويأتي الحمل نبيًّا يكون آية على قدرة اللَّه عز وجل وعظمته .

وعند ذلك قالت مريم : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ [مريم ٢٠] . قال القرطبي : « ما استبعدت من قدرة اللَّه تعالى شيئًا ، ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد ؟ من قبل الزوج في المستقبل أم يخلقه اللَّه ابتداء »[3] .

---

(١) أي : حتى تتورم قدماها .

(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، قسم تراجم النساء (ص٣٦٨) ، وانظري كتابي « نسمات الأسحار » ، طبعة دار الفضيلة .

(٣) تفسير القرطبي (٤٢٦٢/٦) .

وجاءها الرد : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٢١] ، عند ذلك استسلمت لأمر اللّه راضية بقضائه ، وما أجمل معاني الرضا بقضاء الله والاستسلام حين تباشر قلب المؤمنة ، فتسارع لتنفيذ كل ما تؤمر به من صلاة وصوم وعبادة ، حتى تنال بهذه العبادة السعادة والذكر الحسن في الأرض وفي السماء . ولقد أمرها اللّه ألا تدافع عن نفسها فيما يرميه به قومها فتكفّل سبحانه بالدفاع عنها ، وأنطق لها وليدها ليدافع عن أمه الطاهرة العذراء البتول ، فقال اللّه تعالى على لسان سيدنا عيسى ابن مريم : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٣٠- ٣٢] .

فكان آية للناس في خلقه من غير زوج وفي كلامه وهو في المهد ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقال تعالى في ذلك : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩١] .

يقول القرطبي : « إن من آياتها أنها أول امرأة قُبلت في النذر في المتعبد ، ومنها أن اللّه عز وجل غذاها برزق من عنده لم يُجْرِه على يد

عبد من عبيده ، وقيل : إنها لم تلقم ثديًا قط ». اهـ[1] .

وقد اختلف في شأن السيدة مريم ، هل هي نبية أم غير نبية ، ولكن الراجح أنها صديقة ، كما قال تعالى : ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ [المائدة : ٧٥] .

قال ابن كثير في تفسير كلمة « صِدِّيقةٌ » : « أي مؤمنة به مصدِّقة له ، وهذه أعلى مقاماتها ، فدل على أنها ليست نبية ، كما زعمه ابن حزم وغيره »[2] .

قال السعدي : « صِدِّيقة أي : هذا أيضًا غايتها أن كانت من الصديقين الذي هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء ، والصِّديقيّة هي العلم النافع المثمر لليقين ، والعمل الصالح ، وهذا دليل على أنها لم تكن نبية »[3] . اهـ .

ويكفي السيدة مريم فخرًا أن ضرب الله بها المثل في الإيمان ،

(١) القرطبي (٤٥١٨/٦) .
(٢) تفسير ابن كثير (٧٨/٢) .
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي .

فقال عز وجل : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [التحريم : ١١، ١٢] .

قال القرطبي : « ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ قول جبريل لها : ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ . وقال مقاتل : يعني بالكلمات : عيسى وأنه نبي ، وعيسى كلمة اللَّه »(١).

وقال السعدي : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ﴾ وهذا وصف لها بالعلم والمعرفة ، فإن التصديق بكلمات اللَّه يشمل كلماته الدينية والقدرية ، والتصديق بكتبه يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق ، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل ، ولهذا قال : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ أي : المطيعين للَّه ، المداومين على طاعته بخشية وخشوع ، وهذا وصف لها بكمال العمل ، فإنها رضي اللَّه عنها صديقة . اهـ .

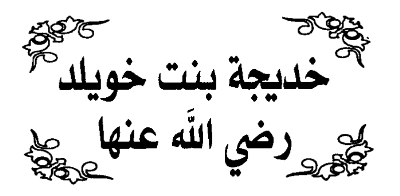
---

(١) القرطبي (٦٩٢٩/١٠) .

هكذا جمعت السيدة مريم بين كمال العلم وكمال العمل، فكانت خير قدوةٍ لكل مؤمنة في علمها، وفي عملها وفي حسن عبادتها وخشوعها.

وعندما نسأل أنفسنا: ماذا نتعلم من السيدة مريم عليها السلام؟ نجد أنفسنا أمام امرأة استسلمت لأمر الله فجعلها اللَّه آية، فأين الاستسلام لأمر اللَّه والتسليم له في أمور دنيانا وديننا والحرص على العلم مع العمل الصالح والقنوت والمداومة على طاعة اللَّه، والتخلي عن الدنيا وتفريغ القلب للَّه؛ حتى يتعلق القلب بخالقه، سبحانه وتعالى، فيسعى لنيل رضاه. ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩].

* * *



خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

هي سيدة نساء العالمين في زمانها، أم أولاد الرسول ﷺ كلهم، عدا إبراهيم، فإنه من مارية - سُرِّيَّته .

فخديجة رضي اللَّه عنها أولُ امرأة تزوجها النبي ﷺ، وأول امرأة بل أول من باشرت حلاوة الإيمان قلبها من الرجال والنساء، وصاحبة أول بيت استضاء بنور الإسلام. وقد ورد في أخبارها أحاديث كثيرة تدل على فضلها وعلى أنها خير قدوة لكل مؤمنة صادقة . فعن عبد اللَّه بن جعفر قال : سمعت عليًا، رضي اللَّه عنه، يقول : عن رسول الله ﷺ قال : « **خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة** »[1].

قال الزبير : « كانت خديجة تدعى في الجاهلية :

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٢) كتاب الأنبياء، ومسلم (٦٩/٢٤٣٠) كتاب فضائل الصحابة .

الطاهرة »[1].

عن عائشة قالت : « ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائق خديجة . فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ، فيقول : « **إنها كانت وكانت ، وكان لي منها الولد** » »[2].

قال الحافظ في قوله : « كانت وكانت » أي : كانت فاضلة وكانت عاقلة[3].

وعند أحمد من حديث مسروق عن عائشة رضي اللّٰه عنها أن رسول الله ﷺ قال عن خديجة : « **آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني اللّٰه عز وجل ولدها ؛ إذ حرمني أولادَ النساء** »[4].

---

(١) فتح الباري (٧/١٣٥) .
(٢) أخرجه البخاري (٣٨١٨) كتاب فضائل الصحابة .
(٣) فتح الباري (٧/١٣٧) .
(٤) مسند أحمد (٦/١١٧، ١١٨) . قال في المجمع (٩/٢٢٤) : إسناده حسن . اهـ . وقال ابن كثير في البداية (٤/٣٢٠) : إسناده لا بأس به .

وعند مسلم من طريق حفص بن غياث في آخر الحديث قالت عائشة : فأغضبتُه يومًا ، فقلت : خديجة ، فقال : « **إني رُزقت حبها** »[1].

قال النووي تعليقًا على هذا الحديث : قوله : « رزقت حبها » فيه إشارة إلى أن حبها فضيلة حُصِّلت . اهـ .

ولما لا ، وقد كانت أول مسلمة ، وأول من آمن برسول الله ﷺ ، فعندما جاءها رسول الله ﷺ بعد رؤيته جبريل عليه السلام وهو يرتجف وحكى لها ما حدث ، فطمأنته بقولها : « أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، واللّه إنك لتصل الرحم ، وتصدُق الحديث ، وتحمل الكَلَّ ، وتكسِبُ المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق »[2].

قال النووي : قال العلماء : معنى كلام خديجة رضي اللّه عنها أنك لا يصيبك مكروه ؛ لما جعل اللّه فيك من مكارم الأخلاق ،

---

(١) مسلم (٢٤٣٥/٧٥) كتاب فضائل الصحابة .

(٢) أخرجه البخاري (٣) كتاب بدء الوحي ، مسلم (١٦٠/٢٥٢) كتاب الإيمان .

وكرم الشمائل ، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق ، وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء ، وفيه تأنيس مَنْ حصلت له مخافة من أمر وتبشيره ، وذكر أسباب السلامة ، وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال السيدة خديجة رضي اللّه عنها ، وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها[1] .

لقد أرادت بذلك رضي اللّه عنها أن تُثَبِّتَ النبي ﷺ ، وأخذته لابن عمها ورقة بن نوفل الذي أخبر أنه النبي المنتظر ، فآمنت به خديجة رضي اللّه عنها ، فكانت أول مَن آمن مِن الرجال والنساء .

قال الحافظ : وما اختصت به – أي خديجة – سَبْقُها نساء هذه الأمة إلى الإيمان ، فَسَنَّت ذلك لكل من آمنت بعدها ، فيكون لها مثل أجرهن ، لما ثبت أن النبي ﷺ قال : « **من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة** » الحديث[2] . وقد شاركها – والكلام ما زال للحافظ – في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة للرجال ، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب

---

(١) شرح النووي على مسلم (٢/٢٦٥) .
(٢) مسلم (١٠١٧/٧٠) .

ذلك إلا الله[1]. اهـ .

عن إسماعيل بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جده عفيف ، أنه قال : كنت امرأً تاجرًا ، فقدمتُ مِنًى أيام الحج ، وكان العباس بن عبد المطلب امرأً تاجرًا ، فأتيته ابتاع منه وأبيعه ، قال : فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء يصلي ، فقام تجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت تصلي ، وخرج غلام فقام يصلي معه . فقلت : يا عباس ، ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما ندري ما هو ؟ فقال : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله [تبارك وتعالى] أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به[2].

يقول ابن عساكر تعليقًا على هذا الخبر : « ولا شك أن هذا حين فرضت الصلاة ابتداءً قبل الهجرة إلى المدينة ثم زيدت ، وإلا فخديجة ماتت قبل أن تفرض الصلاة بخمس سنين »[3].

(١) الفتح (١٣٧/٧) .
(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٧٤/١/٤) ، وابن سعد في طبقاته (٢٧/٢) ، والحاكم في المستدرك (١٨٣/٣) ، وقال : صحيح الإسناد ، والبيهقي في الدلائل (١٦٢/٢) ، وأورده الهيثمي في المجمع (٢٢٢/٩) ، ووثقه رجاله .
(٣) كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر (ص٥٠) .

هكذا كانت رضي الله عنها أول من آمنت ، وأول من صلّت ، وأول من تحمّل مع النبي ﷺ همّ الدعوة ، وثقل الرسالة . قال الحافظ في « الفتح » عنها : « لقد ظهر في ثباتها في الأمر ما يدل على قوة يقينها ، ووفور عقلها وصحة عزمها ، لا جرم كانت أفضل نسائه على الراجح »[1] . اهـ .

ولذلك أحبها النبي ﷺ حبًّا شديدًا ، حبًّا جعله يُثني عليها كثيرًا ، وكان ﷺ وفيًا لها ويصل قرابتها ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذنت هالة بنت خويلد - أخت خديجة - على رسول الله ﷺ ، فعرف استئذان خديجة ، فارتاع لذلك ، فقال : **« اللهم هالة »**[2] . وفي مسلم : « **فارتاح لذلك** » . فقال : « **اللهم هالة بنت خويلد** »[2] .

قال النووي في قوله : « **فارتاح لذلك** » : أي هش لمجيئها وسُرَّ بها لتذكره بها خديجة وأيامها[3] .

---

(١) الفتح (١٣٤/٧) .
(٢) البخاري (٣٨٢١) ك فضائل الصحابة ، ومسلم (٢٤٣٧) .
(٣) مسلم شرح النووي (٢٨٩/١) .

وعن أبي هريرة قال : « **أتى جبريل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قَصَب لا صَخَب فيه ولا نَصَب** »[1].

وللنسائي من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال جبريل للنبي ﷺ : « **إن الله يقرئ خديجة السلام** – يعني فأَخبَرها – **فقالت : إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته** »[2].

قال الحافظ في « الفتح » : قال السهيلي : لذكر « بيت » معنى لطيف ؛ لأنها كانت ربة بيت في الإسلام منفردة به ، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي ﷺ بيت إسلام إلا بيتها ، وهي فضيلة ما شاركها فيها غيرها[3].

(١) البخاري (٣٨٢٠) ، ومسلم (٢٤٣٢) .
(٢) النسائي (٢٥٤) فضائل الصحابة ، وفي عمل اليوم والليلة له أيضًا (٣٧٤) ، والحاكم في المستدرك (١٨٦/٣) ، وقال : صحيح على شرط مسلم .
(٣) فتح الباري (١٣٨/٧) .

قال النووي : جمهور العلماء على أن المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف، وقيل : قصب من ذهب منظوم بالجواهر[1] .

وقد ورد عند الطبراني في « الأوسط » من حديث فاطمة قالت : قلت : يا رسول الله ، أين أمي خديجة ؟ قال : « **في بيت من قصب** » . قلت : أمن هذا القصب ؟ قال : « **لا ، من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت** »[2] .

وقوله ﷺ : « **لا صخب فيه ولا نصب** » الصياح والمنازعة برفع الصوت . وقال السهيلي : مناسبة نفي هاتين الصفتين – أعني المنازعة والتعب – أنه ﷺ لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعًا فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك ، بل أزالت عنه كل نصب ، وآنسته في كل وحشة ، وهونت عليه كل عسير ، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها[3] .

(١) مسلم شرح النووي (٢٨٦/١٥– ٢٨٧) .
(٢) الطبراني في الأوسط (٤٤٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٣/٩) : مهاجر بن ميمون لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .
(٣) فتح الباري (١٣٨/٧) .

حقًّا لقد كانت أمنا خديجة خير قدوة لكل مؤمنة صادقة ، ولَكَمْ تعلمنا من سِير الصالحات ، فعندما نسأل أنفسنا : ماذا نتعلم من أمنا خديجة رضي اللَّه عنها ؟ نجد أنفسنا أمام أفضل زوجة عرفها التاريخ كانت لزوجها أمًّا وأختًا ونصيرًا ، وظهرت في سيرتها قوة عقلها وثباتها على الحق ، والأكثر من ذلك نتعلم منها التصديق والإيمان الراسخ ، فلم تَفْضُل خديجة على سائر النساء بكثرة الصلاة أو الصيام ، فقد ماتت ولم تُفرض الصلاة ولا الصيام بعد ، ولكنها فضلت النساء بتصديقها وإيمانها الراسخ بالله ووقوفها سندًا قويًا لزوجها رسول الله ﷺ .

ولكم يحتاج كل داعية في هذا العصر زوجة مثل أمنا خديجة رضي اللَّه عنها ، تشجعه على المضي في رفع كلمة لا إله إلا الله ، وتسانده ولا تعوقه عن الدعوة إلى الله ، ولكم يحتاج كل مسلم إلى مسلمة صادقة تقف بجواره في مواجهة موجات الفساد في المجتمع لتحافظ على بيتها ليكون بيتًا مسلمًا قد لا يذكر في الأرض ، ولكنه يُذكر في السماء .

* * *



فاطمة بنت رسول الله ﷺ

هي البَضْعة النبوية ، وهي ابنة خير البرية ﷺ ، ولدت قبل البعثة بقليل ، فنشأت وترعرت مسلمة لا تعرف إلا ربًّا واحدًا ، ونشأت في بيت النبوة على أنواع الفضائل والأخلاق الحسنة ، فأي فضل كفضلها ، وأي النساء تصل إليها وهي سيدة نساء العالمين في زمانها ، كما كانت أمها خديجة رضي اللَّه عنها أكمل النساء في عصرها ، وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها .

قال الذهبي عنها في « السير » : كانت صابرة ، دَيِّنة ، خَيِّرة ، صَيِّنة ، قانعة ، شاكرة للَّه . وقد زوجها رسول الله ﷺ لعلي رضي اللَّه عنه ، وفي ذكر زواجها فوائدة كثيرة ، فقد تزوجت سيدنا عليًا ولا يملك شيئًا إلا درعًا له باعها بأربعمائة درهم ، وجعلها صداقها ، وكان متاع بيتها رضي اللَّه عنها بسيطًا جدًّا ، كما جاء على لسان سيدنا علي قال : لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش تنام عليه بالليل وتعلف عليه الناضح بالنهار ، وما لي

ولها خادم[1]. وعن عليّ رضي اللّه عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ زوجه فاطمة وبعث معها خميلة ووسادة من أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين[2].

وعن عطاء قال : إن كانت فاطمة لتعجن ، وإن قُصَّتها[3] لتضرب الأرض والجفنة[4].

تأملي أختي المسلمة هذه السيدة الفاضلة ، فهي بنت خير البشر ، ورغم ذلك تأملي كيف كان مهرها وجهازها ، لقد رضيت بزوجها دون أن تطالب بمطالب قاصمة لظهره ، عكس ما يفعله البنات وأولياؤهم هذه الأيام ، يكلفون الرجال الذين يريدون العفة ما لا يطيقون – وذلك يتسبب في أزمة خطيرة – ألا وهي عنوسة الكثير منهن ، ويترتب على ذلك مفاسد جمة ، فأين الفتاة التي تقتدي بالسيدة فاطمة فتبحث عن دين زوجها قبل راتبه ، وعن أخلاقه قبل ماله وسكنه ؟ أين الملتزمات اللاتي يتجهزن لبيوت

(١) صفة الصفوة (٢/ ٥- ٩) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) القُصَّة – بالضم –: شعر الناصية . المختار الصحاح (ص ٥٣٨) .
(٤) والجفنة : القصعة ، جمعها : جفان وجفنات . القاموس (ص ١٥٣١) .

أزواجهن بحفظ القرآن والتفقه في أمور الدين والدنيا ومعرفة حقوق الأزواج ، قبل أن يتجهزن بالأشياء التافهة الفانية التي في الغالب تُجلب وتشترى اتقاء سخط الناس وسخريتهم .

والسؤال : أين نحن من السيدة فاطمة رضي اللَّه عنها ؟

لقد تزوجت سيدنا عليًا وعاشت معه وأنجبت له الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وكانت تعمل في بيتها راضية محتسبة مع قلة الزاد والمتاع .

عن ابن أَعْبد قال : قال عليّ رضي اللَّه عنه : يا ابن أعبد ، ألا أخبرك عني وعن فاطمة ؟ كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه ، وكانت زوجتي ، فجرّت بالرحى حتى أثرت الرحى في يدها ، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها ، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها ، وأوقدت تحت القِدر حتى دنست ثيابها وأصابها من ذلك ضرر[1] .

هكذا هي المرأة المسلمة تعمل في بيت زوجها وتربي أولادها وبناتها تحتسب الأجر عند اللَّه ، فما عند اللَّه خير وأبقى ، وما متاع

(١) شذرات الذهب لابن العماد (١٤٧/١) .

الحياة الدنيا إلا متاع زائف سرعان ما يزول .

ولقد جاء في فضل السيدة فاطمة أحاديث أذكر بعضها لنعلم أن الفضل لا يكون بالمال والجاه ، ولكن الفضل الذي يسطره العمل الصالح عبر صفحات التاريخ ، فذلك الفضل الدائم الثابت .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي اللَّه عنها قالت : « ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله ﷺ من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبلها ، ورحب بها ، وكذلك كانت هي تصنع »[1].

وعن عائشة أيضًا قالت : كن أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مِشيتها مِن مِشية رسول الله ﷺ شيئًا ، فلما رآها رحب بها ، فقال : « **مرحبًا بابنتي** » ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم سارّها – أي قال لها سرًا – فبكت بكاءً شديدًا ، فلما رأى جزعها سارّها الثانية ، فضحكت ، فقلت لها : خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسّرار ثم أنت

(١) أخرجه أبو داود (٥٢١٧) في الأدب ، والترمذي (٣٨٧١) في المناقب . وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٤١٤٦) .

تبكين ؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قالت : ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره ، قالت : فلما توفي رسول الله ﷺ قلت : عزمت عليك بما لي عليك من حق لما حدثتيني ما قال لك رسول الله ﷺ ، فقالت : أما الآن فنعم ، أما حين سارني في المرة الأولى ، فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين ، وأنه عرضه الآن مرتين ، وإني لأرى الأجل إلا قد اقترب ، فاتقي الله واصبري ، فإنه نعم السلف أنا لك . قالت : فبكيت بكائي الذي رأيت ، فلما رأى جزعي سارّني الثانية ، فقال : **« يا فاطمة ، أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة »** . قالت : فضحكت ضحكي الذي رأيت[1] .

وفي التفضيل بينها وبين السيدة عائشة مقولة لابن القيم[2] جاء فيها :

إن أريد بالتفضيل كثرة الثواب عند اللّه ، فذاك أمرٌ لا يُطّلع

(١) رواه البخاري (٣٦٢٣) في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسلم (٢٤٥٠/٩٨) ك فضائل الصحابة .

(٢) بدائع الفوائد (٦٨٢/٣) .

عليه ؛ فإن عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح ، وإن أريد كثرة العلم فعائشة لا محالة ، وإن أريد شرف الأصل ففاطمة لا محالة ، وهي فضيلة لا يشاركها فيها غير أخواتها ، وإن أريد شرف السيادة – أي أنها سيدة نساء عالمها – فقد ثبت النص في فاطمة وحدها .

وقال الحافظ في « الفتح » : امتازت فاطمة عن أخواتها بأنهن مُتنَ في حياة النبي ﷺ فكن في صحيفة الرسول ﷺ ، ومات في حياة فاطمة فكان في صحيفتها[1] .

وعن حذيفة قال : أتى النبي ﷺ مَلَك وقال : إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة[2] .

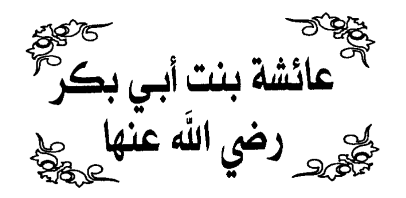
ويكفي السيدة فاطمة فضلًا أنها سيدة نساء عالمها ، وأنها قد تربت ونشأت في بيت النبوة ، فهي من آل البيت الذين قال الله

(١) فتح الباري (٧/١٠٩) .
(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٨١) ، والنسائي (١٩٣) فضائل الصحابة ، وأحمد (٥/١٩٣) ، وصححه ابن حبان (٢٢٢٩) ، والحاكم (٣/١٥١) ، ووافقه الذهبي .

تعالى فيهم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

فعليك أختي المسلمة باقتفاء آثار تلك السيدة الفاضلة التي صبرت على أكبر مصيبة أصيبت بها البشرية عامة وأصيبت بها هي خاصة ، ألا وهي صبرها على فقد الحبيب المصطفى ﷺ . فكوني أختي المسلمة مثلها في زهدها وورعها وخدمتها لزوجها وأولادها ورضاها بالقليل ، حتى يبارك الله لك فيما رزقك من نعم .

* * *



هي الصديقة بنت الصديق ، هي الفقيهة العالمة الطاهرة ، هي التي أحبها الرسول ﷺ حبًا شديدًا ، هي المبرأة من فوق سبع سماوات .

لحق النبي ﷺ بربه وهي لم تخط بعد إلى التاسعة عشرة ، على أنها ملأت أرجاء الأرض علمًا ، فهي في رواية الحديث نسيج وحدها ، ولم يكن بين أصحاب النبي ﷺ من كان أروى منها ، ومن أبي هريرة رضي اللّه عنه ، على أنها كانت أدق منه وأوثق ، كل ذلك رغم أنها امرأة ، إلا أنها كانت قدوة للرجال في طلب العلم ، وكان الصحابة يسألونها فيما أشكل عليهم .

فعن أبي موسى الأشعري قال : « ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علمًا »[1].

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٩- ١٣) .

قال أبو الضحى عن مسروق : رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض .

وقال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن رأيًا في العامة[1] .

وقال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل .

وعن عروة بن الزبير قال : ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضي اللَّه عنها[2] .

ولقد كانت رضي اللَّه عنها إحدى المجتهدات ومن أنفذ الناس رأيًا في أصول الدين ودقائق الكتاب المبين ، وكانت رضي اللَّه عنها تستدرك على الصحابة ملاحظات ، فإذا علموا بذلك منها رجعوا إلى قولها[3] .

وكما كانت عالمة فقيهة ، كان لها الفضل في العبادة والزهد .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/٣٩- ٥٦) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) عين الإصابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للسيوطي ، والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للمحب الطبري (ص٣٣- ٩٤) .

عن القاسم قال : كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها ، فغدوت يومًا ، فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ : ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ [الطور : ٢٧] تدعو وتبكي وترددها ، فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت ، فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي(١) .

يا اللّه ، ما أشد بكاء الصادقات الصالحات مع كثرة عملهن ، وما أقل دموع الغافلات مع قلة عملهن !!

وروى عروة بن الزبير أن معاوية بعث إلى عائشة بمائة ألف درهم ، فوالله ما أمست حتى فرقتها ، فقالت لها مولاتها : لو اشتريت لنا منها بدرهم لحمًا ؟ فقالت : « ألا قلت لي »(٢) .

للِكِ اللّه يا أم المؤمنين ، نسيتِ نفسكِ وأنفقتي مالكِ للّه ، ونحن في عصرنا لا نجد من يتذكر الفقير أو الضعيف ، بل الجميع يهتمون بأنفسهم ونسوا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

روى الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **يا عائش ، هذا**

(١) صفة الصفوة (٢/٩ - ١٣) .
(٢) أبو نعيم في الحلية (٢/٤٧) .

جبريل يقرأ عليكِ السلام » . قالت : فقلت : وعليه السلام ورحمة اللَّه[1] .

ويكفي السيدة عائشة فضلًا أن ذكرها اللَّه في آيات تُتلى إلى قيام الساعة ، فقد جاء في سورة « النور » عشر آيات تتحدث عن حادثة الإفك التي ضربت فيها السيدة عائشة أروع مثل في التوكل على اللَّه وصدق اللجأ إليه والتواضع له عز وجل ، مما جعل جزاءها من جنس عملها ، فأنزل اللَّه في شأنها آيات تُعلن أنها الصديقة الطاهرة المبرأة من فوق سبع سماوات . لقد تواضعت للَّه عندما قالت : لشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم اللَّه فيَّ بأمر . فرفعها اللَّه عز وجل بنزول هذه الآيات في شأنها ، ولتظل قدوة لكل امرأة تبتلى بأي نوع من أنواع الابتلاء - نسأل اللَّه للجميع العافية - قدوة في الصبر والثقة بأن اللَّه هو الذي يكفي العبد كل أموره .

فهل لنا في أمنا عائشة من قدوة حسنة في العلم والفقه والزهد والورع واليقين وصدق اللجأ إلى اللَّه . أسأل اللَّه أن يجمعنا معها في دار كرامته ، فهو ولي ذلك والقادر عليه .

---

(١) رواه مسلم (٩١/٢٤٤٧) ك فضائل الصحابة .



وأخيرًا أقول لكِ يا أختاه ، يا من تبحثين عن الأسوة الحسنة : لقد أضأت في طريقك للبحث عنها خمسة مصابيح منيرة تضيء لكِ الطريق للوصول لها وتضيء لك الطريق إلى ربك ، فمع السيدة آسية تجدين نفسك تعيشين في نور الثبات على الحق حتى الممات ، فاثبتي أختي المسلمة على حجابك ودينك وعفتك حتى تلقي اللَّه وهو عنك راضٍ .

ومع السيدة مريم ، عليها السلام ، نلتمس القدوة في العبادة والزهد والتفاني في طلب ما عند اللَّه حتى تسمو بروحها وتكون سيدة من سيدات أهل الجنة ، كما ورد .

ومع السيدة خديجة رضي اللَّه عنها ، تجدين أنوار القدوة في الصبر على الدعوة إلى اللَّه وسرعة الاستجابة لأمر اللَّه ورسوله ﷺ والوقوف بجوار الزوج في طريق دعوته مع احتساب الأجر عند اللَّه .

ومع السيدة فاطمة نجد القدوة لكل فتاة مسلمة مُقبلة على

الزواج لتكوين بيت مسلم فنجد نور الزهد في الجهاز لهذه الدنيا الفانية ، مع الاستعداد ليوم الرحيل قبل الاستعداد للزواج والدنيا الجديدة ، كما أنها ضربت أروع المثل في الرضا بما قسمه اللَّه ، والقناعة ، وأخرجت لنا سيدا شباب أهل الجنة ؛ الحسن والحسين ، فكوني مثلها أختاه ، وربِّي بناتك وأولادك على طاعة اللَّه واحتسبي أجرك عند اللَّه .

ومع السيدة عائشة نجد أنفسنا أمام المرأة العالمة الفقيهة ، فعليكِ بطلب العلم « علم التوحيد والفقه خاصة » ، وعليكِ بحفظ كتاب اللَّه فهو خير زاد لك على طريق اللَّه .

○ **أختي المسلمة** : رزقني اللَّه وإياكِ ثبات آسية ، وعبادة مريم ، وزهد فاطمة ، وجهاد خديجة ، وعلم عائشة .

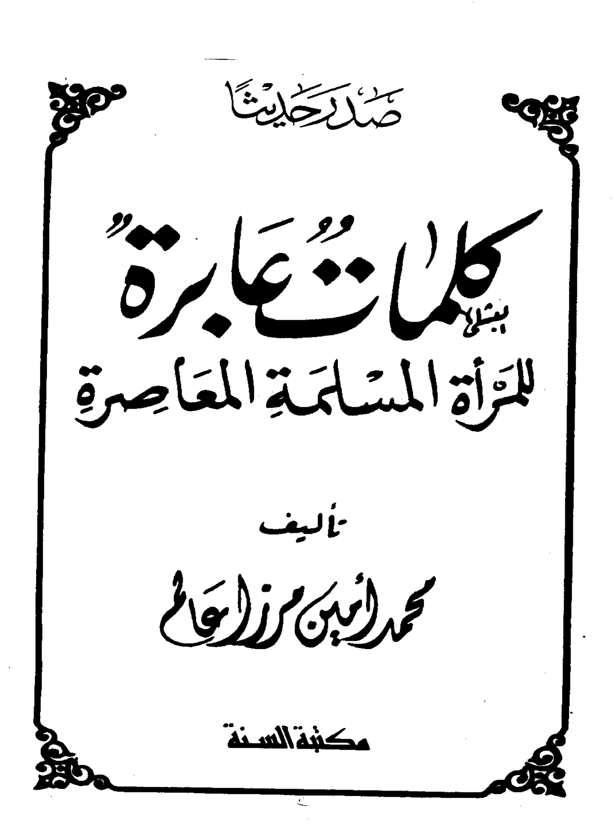
○ **وأخيرًا** : هذا جهد مُقل قدمته لمن تبحث عن القدوة الحسنة في هذا العصر المتلاطم الأمواج بالفتن ، نسأل اللَّه النجاة منها ، وأن يرزقني وإياكن حسن الخاتمة . ولا تحرميني أختاه من دعاء بظهر الغيب ، ليقول لك المَلَك : آمين ، ولكِ المثل .

أختكم

أم سارة وإسراء وأسماء

الفهـرس

* * *


صدر حديثا
كلمات عابرة
للمرأة المسلمة المعاصرة
تأليف
محمد أمين مرزا عالم
مكتبة السنة


صدر حديثاً
أماه!
تأليف
أم إسراء بنت عرفه بيومي
مكتبة السنة